ورقةٍ بحثيَّة بعنوان:

النِّيَّةُ في طلب العلم وأثرُها في التَّكوين الأكاديميِّ لطالب العلُوم الإسلاميَّة

- مُوجَّهةٌ إلى الملتقى الوطني: واقع العلوم الإسلامية ودور المنتسبين إليها في إصلاح المجتمع جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان
- تندرج في المحور الثَّالث: التَّكوين الأكاديميُّ وأثره في فاعليَّة المنتسب إلى العلوم الإسلاميَّة
- إعداد الدكتور: **العيد حِذِّيق**، أستاذ محاضر (ب)، قسم الحضارة الإسلاميَّة، معهد العلوم الإسلاميَّة، جامعة الوادي
- البريد العادي: alaide1980@gmail.com
- البريد المهني: haddig-laid@univ-eloued.dz

مُقدِّمةٌ في: بيانِ فضلِ العلمِ الشَّرعيِّ، وأهميَّة النيَّة

بسم الله الرَّحمن الرحيم، الحمد لله الَّذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقِّ ليُظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدًا، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له إقرارً به وتوحيدًا، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليمًا مزيدًا، أمَّا بعدُ:

فإنَّ من المناسبِ في صدر هذه الكلمة؛ أنَّ نُخَلِّصها لبيان مسألتين هامَّتين: فضلِ العلم الشَّرعيِّ على العموم، وبيانِ أهميَّة النيَّة، وتفصيلُ هذا على النَّحو الآتي:

المسألةُ الأولى: فضلُ طلب العلم الشَّرعيِّ: لا يمتري اثنان على فضيلة طلب العلم الشَّرعيِّ، وعلى ذلك تظافرت نُصوص الشَّرع الإسلاميِّ؛ من آياتِ القرآن الكريم، وأحاديث النَّبِيِّ الأمين.

فمن الآيات القرآنيَّة الدَّالَّةِ[1] على ذلك:

– قول الله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[المجادلة:11]، وتفسيرُ الآية – على ما أُثِرَ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما –: (يرفع الله الَّذين أُوتُوا الْعلم من الْمُؤمنِينَ على الَّذين لم يؤتوا الْعلم دَرَجَات)، وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال: (مَا خَصَّ اللهُ الْعلمَاءَ فِي شَيْءٍ من الْقُرْآن، مَا خصهم فِي هَذِه الْآيَة؛ فَضَّلَ اللهُ الَّذين آمنُوا وأوتوا الْعلمَ على الَّذين آمنُوا وَلم يُؤْتَوُا الْعلمَ)[2]. وهذا الرَّفعُ لأهل العلم شاملٌ لرفعهم في الدُّنيا والآخرة؛ أمَّا في الدُّنيا، فإنَّهم كلما ذُكروا أُثنِيَ عليهم، وأما في الآخرة فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلى الله والعمل بما عملوا[3].

– وقوله سبحانه: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[طه:114]، ووجهُ الاستدلال بها؛ أنَّ الله ﷻ لم يأمُرْ نبيَّهُ ﷺ بطلب الإزدياد من شيءٍ إلاَّ من العلم[4]. قال ابنُ القيم رحمه الله (ت:751هـ) في الوجه الثامن عشر من أوجه (فضل العلم): «الوجه الثامن عشر: أنَّه سبحانه أمرَ نبيَّه أن يسأله مزيدَ العلم، فقال تعالى: **﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾**[طه:114]، وكفى بهذا شرفًا للعلم أنْ أمرَ نبيَّه أن يسأله المزيدَ منه»[5].

– وقوله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[التوبة:122]، ووجهُها؛ أنَّ الله ﷻ جعل طلب العلمِ قرينَ الجهادِ في سبيل الله. قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله (ت:751هـ): «فإنه سبحانه نوَّعَ عبوديَّتَهم وقيامَهم بأمره إلى نوعين: أحدهما: نفيرُ الجهادِ، والثاني: التَّفَقُّهُ في الدين، وجعل قيام الدين بهذين

الفريقين، وهم الأمراء والعلماء، أهل الجهاد وأهل العلم؛ فالنافرون يجاهدون عن القاعدين، والقاعدون يحفظون العلم للنافرين، فإذا رجعوا من نفيرهم استدركوا ما فاتهم من العلم»[6].

بل إنَّ بعضَ السَّلفِ كانُوا يُقَدِّمون طلبَ العلمِ حتَّى على الجِهادِ في سبيلِ اللهِ، كما يُروَى ذلك عن سفيانَ الثوريِّ (ت:163هـ) ومالكٍ (ت:169هـ) والشَّافعيِّ (ت:205هـ) رحم الله الجميعَ[7].

وأمَّا الأحاديث النَّبويَّة؛ فمنها:

– ما روى ابنُ ماجه في سننه، عن أنسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**طلبُ العلمِ فريضةٌ علَى كلِّ مُسلمٍ**)[8]، ووجهُهُ أنَّ طالبَ العلمِ قائمٌ بفريضةٍ من فرائض الله ﷻ، وما تقرَّبَ عبدٌ إلى الله ﷻ بأحبَّ ممَّا افترضه عليه، كما قال ﷺ فيما يرويه عن ربه ﷻ: (**وما تقرَّبَ إليَّ عَبْدي بِشيءٍ أحبَّ إليَّ مِمَّا افْترضتُ عليْه**)[9]. ولا ينفكُّ طالبُ العلم الشَّرعيِّ عن القيام لله ﷻ بفريضةٍ عينيَّةٍ أو كفائيَّةٍ؛ فإذا تعلَّقت به هو في عباداته ومعاملاته؛ تعيَّن عليه العلم بها، وإذا كانت أمرًا زائدًا على ذلك من ضبطٍ لمسائلِ الشَّرعِ، وانقطاعٍ لتحصيلها ليحفظ على المسلمين دينَهم؛ فهو من فروض الكفاياتِ. قال العلاَّمةُ ابنُ باديسَ رحمه الله (ت:1359هـ=1940م): «طلبُ العلمِ على وجهين: أحدُهما الاشتغالُ بتحصيلِ مسائلِه والإنقطاعُ إلى تعلُّمِ قواعدِه؛ وهذا هو الواجب كِفَايَةً. وثانيهما السُّؤالُ عن حكمِ ما نزلَ به مِنْ أَمْرِ دينِه واستفتاءُ أهلِ العلمِ فيه؛ وهذا واجبٌ عَيْنًا، فاحفظْ هذا الضابطَ واعتبرْ به مسائلَ دينِك، يَسْهُلْ عليك الفرق بين ما هو واجب على عموم المسلمين يسقط عنهم بوجود عالم بينهم، وما هو واجب عليك في خاصة نفسك لا تبرأ منه ذمتك إلا بمعرفته»[10].

– وما روى البخاريُّ ومسلمٌ في صحيحيهما عن خال المؤمنين معاوية ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (**مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)[11]، ووجهه أنَّ اللهَ ﷻ مدح المتفقِّه في الدِّين، «وَكَيف لَا يكون ممدوحاً، وَقد أَرَادَ الله بِهِ خيرا؛ حَيْثُ جعله فَقِيها فِي دينه، عَالما بِأَحْكَام شَرعه»[12].

قال ابنُ بطَّالٍ رحمه الله (ت:449هـ) في فوائد الحديث: «فيه فضل العلماء على سائر الناس. وفيه فضل الفقه في الدين على سائر العلوم، وإنما ثبت فضله لأنه يقود إلى خشية الله، والتزام طاعته وتجنب معاصيه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:28]»[13].

– وما روى مسلمٌ في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (**وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ**)[14]، وأيُّ مطلبٍ للإنسان في هذه الدُّنيا أكبرُ من الحصول على الجنَّة؟ قال أبو العباس القرطبيُّ رحمه الله (ت:656هـ): «**قوله ﷺ: (من سلك طريقا يلتمس**

فيه علما؛ سلك الله به طريقا إلى الجنة) أي: من مشى إلى تحصيل علمٍ شرعيٍّ قاصدًا به وجهَ الله تعالى، جازاه الله عليه بأن يوصله إلى الجنة مُسَلَّمًا مُكَرَّمًا»[15].

هذه – على وجه الاِختصارِ– جُملةٌ من النُّصوص الشَّرعيَّة الدَّالَّة على فضلِ طلبِ العلمِ، ولكنَّ طلبَ العلمِ –كغيره من الأعمال – يفتقر إلى نيَّةٍ، ولذلك سأجعلُ المسألة الثَّانية في أهمِّيَّة النِّيَّة.

المسألةُ الثَّانية: أهمَّيَّةُ النِّيَّة:

إذا علمْنا الفضيلة العظيمة في طلب العلوم الشَّرعيَّة؛ فليُعلمْ كذلك أنَّ تحصيلَ تلكَ الفضيلةِ مُتوقِّفٌ على النِّيَّة فيه؛ إذِ النيَّةُ – في الحقيقة – هي روحُ العمل الظَّاهر، فالعملُ بلا نيَّةٍ كالجسدِ بِلا رُوحٍ. قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله (ت:751هـ) عن النِّيَّة: «إنما هي الأصلُ المرادُ المقصودُ، وأعمالُ الجوارح تَبَعٌ: ومكمِّلَةٌ ومُتَمِّمَةٌ، وأن النية بمنزلة الرُّوحِ، والعملُ بمنزلة الجَسَدِ، والأعضاءُ إذا فارقتها الرُّوحُ فمَوَاتٌ، وكذلك العملُ إذا لم تَصْحَبْهُ النيةُ فحركة عابثٍ. فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح؛ إذ هي أصلُها، وأحكام الجوارح متفرِّعةٌ عليها»[16].

وعلى أهميَّة النيَّة في عمل العاملين، دأبَ على التَّنويه أهلُ العلم الرَّاسخون، من المتقدِّمين والمتأخِّرين. قال يحيى بنُ أبي كثيرٍ رحمه الله (ت:129هـ): «تَعَلَّمُوا النِّيَّةَ فَإِنَّهَا أَبْلَغُ مِنَ الْعَمَلِ»[17]. وما كانت أبلغَ من العمل، إلاَّ لأنَّ الإنسانَ في بعضِ أحيانه يبلُغُ بنيَّتِهِ مراتبَ لم يبلُغها بعمله، كما جاء في قولِهِ ﷺ: **(فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً)**[18]. قال ابنُ دقيقِ العيدِ رحمه الله (ت:702هـ): «هذا حديثٌ شريفٌ عظيمٌ؛ بيَّنَ فيه النبيُّ ﷺ مقدارَ تفضُّلِ اللهِ ﷻ على خلقِه: بأنْ جعلَ هَمَّ العبدِ بالحسنةِ وإنْ لم يعملْها حسنةً [...]، وإنَّما جعلَ الهَمَّ بالحسناتِ حسنةً؛ لأنَّ إرادةَ الخيرِ هو فعلُ القلبِ؛ لعقدِ القلبِ على ذلكَ»[19].

ولذلك كانَ مِن علماءِ أهل الأندلسِ مَنْ يَحضُّ على أن ينبريَ من الفقهاءِ، مَن يتخصَّصُ في تعليمِ النَّاسِ (النيَّةَ) لَا غيرُ. قال ابن الحاجِّ المالكيُّ رحمه الله (ت:737هـ): « كُنْت كَثِيرًا مَا أَسْمَعُ سَيِّدِي الشَّيْخَ الْعُمْدَةَ الْعَالِمَ الْعَامِلَ الْمُحَقِّقَ الْقُدْوَةَ أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي حمزةَ[20] يَقُولُ: (وَدِدْتُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ الْفُقَهَاءِ مَنْ لَيْسَ لَهُ شُغْلٌ إلَّا أَنْ يُعَلِّمَ النَّاسَ مَقَاصِدَهُمْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَيَقْعُدَ إلَى التَّدْرِيسِ فِي أَعْمَالِ النِّيَّاتِ لَيْسَ إلَّا)، أَوْ كَلَامًا هَذَا مَعْنَاهُ، فَإِنَّهُ مَا أَتَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ إلَّا مِنْ تَضْيِيعِ النِّيَّاتِ»[21].

وليسَ كلامُ الفقيه ابن أبي جمرةَ رحمه الله(ت:695هـ) بمُستَنكرٍ؛ فإنَّا لو طبَّقناه على واقِعِنا، فسألنا طلبَتَنا عن نيَّاتهم في التَّوجُّهِ إلى طلب العلوم الشَّرعيَّةِ؛ لتأكَّد لنا ذلك التِّيهُ وتضييعُ النِّيَّة، ولذلك كان من المناسب في هذا المقامِ أن نبدأ ببيان الأصل في نيَّةِ طالبِ العلمِ، وهو ما يأتي في المقصد الأوَّلِ.

المَقصَدُ الأوَّلُ: الأصلُ في نِيَّة طالبِ العلمِ

كلُّ مَن يقصِدُ إلى شيءٍ من الأعمال الدِّينيَّة أو الدُّنيويَّة؛ فلا بُدَّ له فيه من نيَّةٍ، كما قال النَّبيُّ ﷺ: (**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**)[22]، وطلب العلم الشرعيِّ من العبادات الَّتي ينبغي تمييزُ النيَّة فيها من جانبين: تمييز العبادة في حدِّ ذاتها، وتمييز المقصُودِ بالعمل، وهو الله ﷻ. قال ابنُ رجبٍ رحمه الله (ت:795هـ): «وَالنِّيَّةُ فِي كَلَامِ الْعُلَمَاءِ تَقَعُ بِمَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، كَتَمْيِيزِ صَلَاةِ الظُّهْرِ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ مَثَلًا، وَتَمْيِيزِ صِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ صِيَامِ غَيْرِهِ، أَوْ تَمْيِيزِ الْعِبَادَاتِ مِنَ الْعَادَاتِ، كَتَمْيِيزِ الْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ مِنْ غُسْلِ التَّبَرُّدِ وَالتَّنَظُّفِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ فِي كُتُبِهِمْ. وَالْمَعْنَى الثَّانِي: بِمَعْنَى تَمْيِيزِ الْمَقْصُودِ بِالْعَمَلِ، وَهَلْ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمْ غَيْرُهُ، أَمِ اللَّهُ وَغَيْرُهُ، وَهَذِهِ النِّيَّةُ هِيَ الَّتِي يَتَكَلَّمُ فِيهَا الْعَارِفُونَ فِي كُتُبِهِمْ فِي كَلَامِهِمْ عَلَى الْإِخْلَاصِ وَتَوَابِعِهِ، وَهِيَ الَّتِي تُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ السَّلَفِ الْمُتَقَدِّمِينَ»[23]. وكلا المعنيين يتعلَّقُ بما نحن بصدده من الكلام عن طلب العلمِ الشَّرعيِّ، ولذلك سأجعل هذا المقصد في ثلاثِ مسائلَ: الأولى: طلبُ العلمِ عبادةٌ لا بدَّ فيها من إخلاص النيَّةِ. والثَّانية: ما الَّذي ينويه طالبُ العلومِ الإسلاميَّة. والثَّالثة: أثرُ إصلاح النيَّة في التَّحصيل العلميِّ. وهذا إجمالٌ تفصيلُهُ كالآتي:

المسألةُ الأولى: طلبُ العلمِ عبادةٌ فلا بُدَّ فيها من الإخلاص

– طلبُ العلمِ عبادةٌ لله ﷻ؛ لأنَّه امتثالٌ لأمره سبحانه: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾[محمد:19][24]، قال مُعاذٌ ﷺ (ت:18هـ): «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ؛ فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ لِلَّهِ خَشْيَةٌ، وَطَلَبَهُ عِبَادَةٌ، وَمُذَاكَرَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثَ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمَهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صَدَقَةٌ، وَبَذْلَهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ»[25]. كما قال الغزاليُّ رحمه الله (ت:505هـ): «العلمُ عبادةُ القلبِ، وصلاةُ السرِّ، وقربةُ الباطنِ إلى الله تعالى، وكما لا تصحُّ الصلاةُ التي هي وظيفةُ الجوارحِ الظَّاهرةِ إلَّا بتطهيرِ الظَّاهرِ عنِ الأحداثِ والأخباثِ؛ فكذلك لا تصحُّ عبادةُ الباطنِ وعمارةُ القلبِ بالعلم؛ إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس والأوصافِ»[26].

وإنَّ من عظيمِ ما نجدُه في تُراثنا المالكيِّ في هذا الصَّدد، ما قصَّهُ علينا ابنُ وهبٍ رحمه الله (ت:197هـ) عن نفسه؛ قال: «كُنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، فَجَاءَتْ صَلَاةُ الظُّهْرِ أَوِ الْعَصْرِ، وَأَنَا أَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَأَنْظُرُ

فِي الْعِلْمِ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَمَعْتُ كُتُبِي، وَقُمْتُ لِأَرْكَعَ، فَقَالَ لِي مَالِكٌ: "مَا هَذَا؟" قُلْتُ: أَقُومُ لِلصَّلَاةِ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا لَعَجَبٌ؛ فَمَا الَّذِي قُمْتَ إِلَيْهِ بِأَفْضَلَ مِنَ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ، إِذَا صَحَّتِ النِّيَّةُ فِيهِ"»[27].

وقد أسلفنا في المقدمة، أنَّ طالبَ العلمِ قائمٌ بفريضةٍ من فرائض الله ﷻ، مصداقًا لقوله ﷺ: (**طلبُ العلمِ فريضةٌ علَى كلِّ مُسلمٍ**)[28]، قال ابنُ القيِّمِ رحمه الله (ت:751هـ): «.. فإنَّ الإيمان فرضٌ على كلِّ واحد، وهو ماهيَّةٌ مركَّبةٌ من علمٍ وعمل، فلا يتصوَّرُ وجودُ الإيمان إلا بالعلم والعمل. ثمَّ شرائعُ الإسلام واجبةٌ على كلِّ مسلم، ولا يمكنُ أداؤها إلا بعد معرفتها والعلم بها، واللهُ تعالى أخرجَ عبادَه من بطون أمَّهاتهم لا يعلمون شيئًا، فطلبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلم. وهل تمكنُ عبادةُ الله التي هي حقُّه على العباد كلِّهم إلا بالعلم؟! وهل يُنالُ العلمُ إلا بطلبه؟!»[29].

والعلمُ عبادةٌ قاصرةٌ ومُتعدِّيةٌ في الآنِ ذاته؛ ينتفعُ به صاحبُهُ في نفسه، وينفعُ به غيره. قال السُّيوطيُّ رحمه الله (ت:911هـ): «وأمَّا فضلُ العِلم من جهة الشرع؛ فإنَّما كان لكونه قربة إلى الله تعالى، ومقتضيًا لثوابه، وموجبًا لخشيته، ومؤديًا إلى معرفته أو الفهم عنه أو فهم كلامه، أو هدايةِ ضالٍّ، أو إرشادِ مُسترشِدٍ، وكلُّ واحدٍ من هذه الأمورِ فضلُه بحسب مُتَعَلَّقِه، وما ترتب عليه من الخير في الدنيا والآخرة»[30].

– فإذا أدركنا أنَّ طلبَ العلمِ عبادةٌ؛ فلنعلم أنَّ العبادةَ لا بدَّ فيها من الإخلاصِ لله ﷻ؛ إذ أوَّلُ شرطَيْ قبولِ العمَلِ في دينِ الإسلام العظيم: الإخلاصُ لله، ثُمَّ المتابعة لرسول الله ﷺ. قال تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[الكهف:110]، وَهَذَانَ الشَّرْطَانِ لَا يَصِحُّ عَمَلُ عَامِلٍ دُونَهِمَا، أَيْ: أن يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يَكُونَ مُتَّبِعًا لِلشَّرِيعَةِ، فيصَحِّح ظاهرَه بالمتابعة، ويُصحِّحُ باطنَه بالإخلاص، فإذا فَقَدَ الْعَمَلُ أَحَدَ هَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ فَسَدَ. فَمَنْ فقد الإخلاص كان منافقًا، وهم الذين يراءون النَّاسَ، وَمَنْ فَقَدَ الْمُتَابَعَةَ كَانَ ضَالًّا جَاهِلًا. وَمَتَى جَمَعَهُمَا؛ فَهُوَ عَمَلُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذين يُتقبَّلُ عنهم ما عملوا، ويُتَجاوزُ عن سيِّئاتِهم[31].

فالعلمُ إذن من جُملة العبادات الَّتي أمَرَنا الله ﷻ فيها بقوله: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ**﴾[البينة:5]. أي: مُفردين له الطَّاعةَ، لا يخلِطُون طاعَتَهم بشركٍ؛ من إرادةِ حُظوظِ النَّفسِ ومطامع الدُّنيا، أو العمل للنَّاسِ، أو غيرها من مظاهر الشرك الأصغر والأكبر[32].

المسألةُ الثَّانية: ما الَّذي ينْوِيهِ طالبُ العُلومِ الإسلاميَّةِ؟

قد علمنا في المسألةِ الأولى أنَّ العلمَ عبادةٌ لا بدَّ فيها من الإخلاصِ للهِ ربِّ العالمينَ؛ وآنَ لنا أن نتساءَلَ: ما الَّذي ينويهِ طالبُ العُلومِ الإسلاميَّة حتَّى ينتظمَ في سلكِ المخلِصين؟ ولقد أجابَ عن هذا قديمًا الإمامُ سفيانُ الثَّوريُّ رحمه الله (ت:161هـ) لما سُئِلَ: «العلمُ أفضلُ أمِ الجهادُ؟ فقال: ما أعلمُ شيئًا أفضلَ منَ العلمِ؛ إذا صَحَّتِ فيه النيةُ، فقيل: يا أبا عبدِ اللهِ، ما النيَّةُ في العلمِ؟ قال: يُرِيدُ اللهَ ربَّه والدارَ الآخرة»[33]. كما يُنسَبُ إلى الإمام أحمدَ رحمه الله (ت:241هـ) أنَّه سُئِل: كيف الإخلاصُ في العلم؟ قال: أن تنويَ رفعَ الجهلِ عن نفسِك وعن غيرك[34]. «قال مُهَنَّا: قلت لأحمد بْن حنبل: ما أفضل الأعمال؟ قَالَ: طلب العلم لمن صَحَّتْ نيتُه، قلت: وأيُّ شيءٍ تصحيحُ النية؟ قَالَ: ينوي يتواضع فيه، وينفي عنه الجهلَ»[35].

وأكَّد هذا من بعدِهِمُ الزَّرنوجيُّ رحمه الله (ت:حوالي640هـ) بقوله: «وينبغي أن ينويَ المتعلِّمُ بطلب العلمِ رضا الله والدَّارَ الآخرةَ، وإزالةَ الجهلِ عن نفسه، وعن سائرِ الجُهَّالِ، وإحياءَ الدِّينِ وإبقاءَ الإسلامِ، فإنَّ بقاءَ الإسلامِ بالعلمِ، ولا يصحُّ الزُّهدُ والتَّقوى مع الجهل»[36].

والأشبهُ في هذه النُّصوصِ جميعًا؛ أنْ تكونَ النيَّةُ في طلبِ العلمِ مُركَّبةً من نيَّاتٍ كثيرةٍ[37]، وعلى رأسِ هذه النيَّاتِ أربعةُ أُمورٍ:

أ- أنْ يكون قصدُ الطَّالبِ في طلبِهِ للعلمِ الشَّرعيِّ؛ ابتغاءَ وجهِ الله ﷻ والدَّارِ الآخرةِ، لأنَّ العلمَ الشَّرعيَّ لا يصلحُ أن يكونَ وسيلةً إلى المقاصدِ الدُّنيويَّةِ، فقد ورد في ذلك الوعيد الشَّديد. قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ ﷻ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[38]. وقد جاءَ تفصيلُ شيءٍ من عَرَضِ الدُّنيا المقصودِ في قولِ النبيِّ ﷺ هذا، في حديثٍ آخرَ هو قوله عليه السلام: (**لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ لِتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ لِتَصْرِفُوا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ فِي النَّارِ**)[39].

ب- أن ينويَ رفعَ الجهل عن نفسه أوَّلاً؛ لأنَّ الأصل في الإنسانِ الجهلُ. قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**﴾[النحل:78]. والجهلُ صفةُ نقصٍ، والعلمُ صفةُ كمالٍ، والإنسانُ يسعى دومًا إلى الكَمالِ، والعبرة -كما قيل- بكمالِ النِّهاياتِ لا بنقصِ البداياتِ.

جـ- أن ينويَ رفعَ الجهلِ عن غيره أيضًا؛ فيكون مُمتثلاً لأمرِ النبيِّ ﷺ في قوله: (**بلِّغوا عني ولو آية**)[40]، وينالَ بذلك دعوته ﷺ في قوله: (**نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**)[41].

د- الدِّفاعُ عن الشَّريعةِ؛ لأنَّ الكتبَ والمؤلَّفاتِ مهما علا قدرُها؛ فإنَّها جَماداتٌ لا تقومُ مقامَ أهلِ العلمِ الرَّاسخين، الَّذين أخذ الله عليهم بيانَ الكتاب وعدمَ كتمانه ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ**﴾[آل عمران:187]، فيدخلُ بذلك في عداد الخَلَفِ الَّذين زَكَّاهم النبيُّ ﷺ في قوله: (**يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ**)[42].

وحاصلُ القولِ ههنا، أنَّ مَنِ استحضرَ على الأقلِّ هذه النيَّاتِ الأربعِ في طلبه للعلم الشَّرعيِّ؛ فقد حاز بإذن الله ﷻ أصول النيَّات الَّتي يكون بها في عداد المخلِصين.

المسألةُ الثَّالثةُ: أثرُ إصلاح النِّيَّةِ في التَّحصيلِ العِلميِّ

لا ريبَ أنَّ لصَلاحِ النِّيَّةِ أثرًا عظيمًا في فَلاَحِ طالبِ العلمِ وتحصيلِهِ، فقد ذكر الخطيبُ البغداديُّ رحمه الله (ت:463هـ) أنَّ من الْأَسْبَابِ الَّتِي يُسْتَعَانُ بِهَا عَلَى حِفْظِ الْحَدِيثِ؛ أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الطَّالِبِ بِالْحِفْظِ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالنَّصِيحَةَ لِلْمُسْلِمِينَ فِي الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيِينِ، وممَّا ساقه من الدَّلائل على ذلك؛ أثر ابن عبَّاسٍ ﷺ: «إِنَّمَا يَحْفَظُ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ»[43].

والحفظُ أصلُ العلمِ، والعلمُ كلُّه لا يكون إلاَّ بنيَّةٍ كما أسلفنا، فإذا عَظمت نيَّةُ الطَّالبِ باستحضارِ أن ينتفعَ هو نفسُه أوَّلاً؛ برفعِ الجهلِ عن نفسِهِ والعملِ بما عَلِم، وأن ينفع النَّاس بهدايتهم وإرشادهم، عظمَ كذلك إدراكُه وتحصيلُه للعلمِ على حَسَبِ تلك النَّيَّة، والله ﷻ إذا علم من المرءِ صِدقَ نيَّته؛ وَفَّقهُ لإدراكِ العلم ولو كانت مُؤهِّلاته من الذاكرة والحفظ ضعيفةً مثلا، أو افتقد القرين المساعدَ، أو احتاج إلى الشَّيخ الموجِّه[44].

وكم رأينا من الطَّلبة من يكون على قدرٍ من الذكاء والحافظة الجيِّدة، فيُبهِرُنا أمرُهم أوَّلاً، ثمَّ ما لبثوا أن انقطعوا وما حصَّلوا شيئًا، وكم من أولائك الذين هم في عداد الضِّعاف أو المتوسِّطين، ولكنَّهم حصَّلوا في الأخير ما تأهَّلوا به للتَّصدُّرِ والتَّدريس، وما ذلك في الغالب إلا توفيقُ الله ﷻ وحُسنُ النيَّة.

ثمَّ إنَّ طالبَ العلمِ إذا رامَ إصلاح نيَّته؛ كان لزامًا عليه تحقيق أمرين اثنين:

- الأوَّلُ: تطهير نيَّته من أن يبتغي بهذا العلم غير وجه الله ﷻ من أعراض الدنيا الفانية، لأنه ورد في ذلك الوعيد الشديد؛ ومما جاء في ذلك حديث الثلاثة الذين هم أوَّلُ من تُسعَّرُ بهم النَّارُ - نسأل الله العافية -، وفيه: (..**وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ**

الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ)[45].

– والآخرُ: استحضارُ النيات المتكاثرة لطلب العلم الشرعيِّ؛ من قبيل عبادة الله على بصيرةٍ، ورفع الله له درجات، وتحقيق خشية الله ﷻ، ووضع الملائكة أجنحتها له رضًا بما يصنع، وحفهم له أثناء الدرس وإنزال السكينة عليه، واستغفار سائر المخلوقات له، وغيرها[46].

أقول: إذا أصلح الطَّالبُ نيَّته بتحقيق هذين الأمرين، كان سيرُه في طلبِ العلمِ بجناحي الطائر جميعا؛ الخوف والرَّجاء؛ فاستحضارُ تلك الفضائل هو بمثابة الحادي الَّذي يُهوِّنُ عليه تعبَ الطَّريقِ أملاً في تحقيق ما يرجوه، والخوفُ من الانحراف في النيَّة هو المصحِّحُ لِلاتِّجاه عند الحَيْدَة عن الطَّريق، فإذا كان أمرُه كذلك فأخلِقْ به إذ ذاك أن يُوفَّقَ للتَّحصيل، وينالَ كُلَّ جميلٍ.

وأثرُ ابنُ عبَّاسٍ ﷺ: «إِنَّمَا يَحْفَظُ الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ»، وإن كان فيه شيءٌ من جهة سنده[47]؛ فإنَّ شواهدَ الواقع دالَّة على صِحَّة معناه، وما خبرُ محمَّدِ بن الحسن (ت:189هـ) تلميذ أبي حنيفة (ت:150هـ) رحمهما الله عنَّا ببعيدٍ؛ إذ ممَّا جاء في ترجمته؛ أنَّه «دخل على الإِمَام [أي: أبي حنيفة] أول مَا دخل للْعلم، قَالَ: استظهر الْقُرْآن، فَغَاب سَبْعَة أَيَّام، ثمَّ جَاءَ وَقَالَ: حفظته»[48].

المَقصَدُ الثَّاني: مزالِقُ في نيَّةِ طالبِ العلمِ الشَّرعيِّ تصُدُّ عنِ التَّحصيلِ الأكاديميِّ

لعلَّ مَنْ زَاول شيئًا من طلب العلمِ الشَّرعيِّ تحمُّلاً وأداءً، تعلُّمًا وتعليمًا، قد بدت له بعضُ الصَّوارفِ الَّتي تصدُّ عن التَّحصيل العلميِّ أو تُضعِفُهُ، وهي كثيرةٌ في هذا الزَّمنِ المليءِ بالملهِياتِ والفتن، ولكنَّ المقصود بالتَّنبيه عليه في هذا المقام، ما كان راجعًا إلى العملِ القلبيِّ (النِّيَّة)، وسأحاول في هذا المقصد أن أرصُدَ – من خلال تجربتي العمليَّة – أهمَّ المزالق، وقد وجدت أنَّها أربعةٌ: التَّركيزُ على تحصيلِ العلاماتِ، والحرصُ على الشَّهادة والمنصب، وحضور الدروس لتصيُّدِ أخطاءِ المدَرِّسِ، والاِغترارُ بقليل العلم وبداياته. وبيانُها كالآتي:

أوَّلاً: التَّركيزُ على تحصيل العلاماتِ:

وممَّا تجدُرُ الإشارةُ إليه؛ أنَّ العلاماتِ ليست دائمًا علامةً على التَّحصيل؛ فكم مِن طالبٍ لا همَّ له إلاَّ حشوُ ذهنه بمعلوماتٍ لا يُدركُ جُلَّها في وقتٍ قصيرٍ قبل الامتحان، ليُفرغها كما هي في الورقة، ثمَّ ما يلبثُ بعدها بثلاثة أيَّام على الأكثر أن يُضيِّع كلَّ ما حفظ، لأنَّ الغرض ليس التَّحصيل وإنَّما العلامة.

وممَّا انتشرَ هذه الأيَّام على صفحات وسائل التَّواصُلِ الاجتماعيِّ؛ قصَّةٌ لعالِمِ الكيمياءِ الَّذي حصل على جائزة نوبل، وقد كان في الجامعةِ راسبًا في مادَّةِ الكيمياءِ بالذَّات!!

ثانيًا: الحرصُ على الشَّهادةِ والمنصِبِ:

أمَّا هذا المزْلَقُ؛ فلا يكادُ أحدٌ من المعالجين لأمر التَّعليمِ، الممارِسين له يعدَمُ مُلاحظته، بل إنَّنا – معاشرَ الأساتذةِ – لا نكادُ نسلمُ منه؛ سواءٌ في القديم يومَ أنْ كُنَّا طلبةً، أو اليومَ ونحن أساتذةٌ[49]، وليسَ الغرضُ إنكارَ أن يستشرفَ الطَّالبُ ألبتَّةَ إلى تحصيل الشَّهادةِ والمنصبِ بطلب العلم الشَّرعيِّ؛ فإنَّ من لوازِمه أن يحصل له ذلك – لمن يسَّرَ الله له –، ولكنَّ المقصُودَ بالذَّمِّ ههنا، أن يجعلَ ذلك كُلَّ همِّه ومبلغَ عِلمِهِ، وقد استعاذَ النَّبيُّ ﷺ من أنْ تكونَ هذه حاله فقال: **(وَلَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا)**[50].

بل إنَّ مَن كانت تلك صفتُه؛ حملته الشَّهادة والمنصبُ إلى صفاتٍ ذميمةٍ أخرى؛ من قبيلِ الاختيال والتكبُّر، وازدراء النَّاس. قال الذَّهبيُّ رحمه الله (ت:748هـ): «فَمَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِلعمل؛ كَسره العِلْمُ، وَبَكَى عَلَى نَفْسِهِ، وَمِنْ طلب العِلْم لِلمدَارس وَالإِفتَاء، وَالفخر وَالرِّيَاء، تَحَامقَ وَاختَال، وَازدرَى بِالنَّاسِ، وَأَهْلكه العُجْبُ، وَمَقَتَتْهُ الأَنْفُس، ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[الشَّمْس:9-10] أَي دسَّسَهَا بِالفجُور وَالمعْصِيَة»[51].

وأذكرُ ههنا من باب الاِستشهادِ بالواقع؛ أنَّهُ في بعضِ السَّنواتِ، أشرفتُ على طالبةٍ في الماستر؛ سَلَختْ مادَّةَ مُذكِّرتها من رسالة ماجستير في جامعة أمِّ القُرى، فأبيتُ أن أمضي لها الإذن بالطَّبع، وأعلمتُها أنَّ هذه سرقةٌ علميَّةٌ لا تنبغي لطالبٍ في العلوم الإسلاميّةِ ولا في غيرها، وكان من جُملةِ ما حذَّرتها منه – صدًّا لها عن اندفاعها –، أنَّ لجنةَ المناقشةِ – إنْ أجازت هذه المذكِّرة أصلاً – ستمنحُها علامةً مُتدنِّيةً، فما كان منها إلاَّ أنْ قالت: "لا يُهمُّ، ولو مُنِحتُ 20/10، المهمُّ أن أحصُلَ على الشَّهادة، فأمامي مسابقةُ توظيفٍ!!".

ثالثًا: حُضُورُ مَجالسِ الدَّرسِ لتَصَيُّدِ الأخطاءِ:

وهذه أيضًا من الأمور التي لا يكادُ يسلمُ منها واحدٌ من الأساتذة؛ إذ لطالما صادفنا ذلك النَّوعَ من الطَّلبةِ الَّذين تجدُ فيهم ذكاءً وفطنةً على وجه الإجمال، وشيئًا من التفوُّقِ على الأقران، ولكن بالمقابل تجدُ أنَّهم سُلِبُوا أدب العِلم والتحلِّي بأخلاقه، فتلفي الواحد منهم لا همَّ له في الدَّرسِ إلاَّ تسقُّطُ عثرةٍ من الأستاذِ ليجبهه بها، أو إيراد المشكلاتِ ليُعجِّزه بها، وهذا في الحقيقة خلقٌ ذميم، لا يُفلح

صاحبُه ألبتَّةَ. قال ابنُ حزمٍ رحمه الله (ت:456هـ): «إذا حضرت مجْلِس علمٍ؛ فَلَا يكن حضورُك إِلَّا حُضُورَ مستزيدٍ علما وَأَجرا، لَا حُضُور مستغنٍ بِمَا عنْدك، طَالبًا عَثْرَةً تُشِيعها أَو غَرِيبَة تُشَنِّعُها، فَهَذِهِ أَفعَال الأرذال الَّذين لَا يفلحون فِي الْعلم أبدا»[52].

ورحم اللهُ السِّراجَ البُلقينيَّ (ت:805هـ) إذ سمَّى هذا الخلق الذَّميم مرضًا فقال: «ولكنَّ الِانتهاضَ لمجرَّدِ الِاعتراضِ من جُملةِ الأمراضِ»[53].

ووجهُ كون هذا المزلَقِ في النيَّةِ مانعًا لطالب العلم من التَّحصيل الأكاديميِّ (وعَدَمِ الفَلاحِ، كما عبَّر ابن حزم رحمه الله) من جانبين؛ من جانبِ الطَّالبِ ذاتِه، ومن جانب الأستاذ.

– أمَّا من جانبه هو؛ فإنَّهُ إذا انشغل بالاعتراض على كُلِّ ما يُورَدُ في الدَّرسِ؛ فإنَّه يفوته تحصيلُ كثيرٍ من المسائل بعده، إذ ليس للمرءِ في صدره إلاَّ قلبٌ واحدٌ، فإذا شغَلهُ بالتَّفكُّرِ في صياغةِ الاعتراضِ، وردِّ ما قد يُجيبُ به الأستاذ من الأدلَّة، وتشقيق ذلك وتفريعه، ذهب شطرُ وقته الَّذي كان ينبغي أن يركِّز فيه للتَّحصيل، في أشياءَ؛ إن لم تكن ضارَّةً له؛ فهي غيرُ مُفيدةٍ قطعًا، ولو أنَّه سلك الجادَّة في طلب العلم، وحضر حُضور مُستفيدٍ مُستزيدٍ، لا حُضورَ معترِضٍ مُستنكفٍ، لكان أسدَّ له وأرشد.

– وأمَّا من جانبِ الأستاذِ؛ فإنَّ المعروف أنَّ النَّفسَ تنفرُ ممَّن يُجابهها بالمعارضة والتَّشغيب؛ خاصَّةً إذا تمرَّست بالطَّالبِ وعلمتَ أنَّ هذا التَّصرُّف سمةٌ له وطبعٌ فيه، فإذا استمرَّ ذلك منه أصبحتَ لا تُبالي به من جهة كونه استفاد أو لم يستفدْ، بل إنَّك ربَّما تعمَّدت عدمَ جوابه لأنَّك ترى أنَّه ليس أهلاً للإفادةِ. وقد وقع هذا الَّذي نذكرُ للسَّلف الصَّالحين؛ فقد قال الزهريُّ رحمه الله (ت:124هـ): «كَانَ أَبُو سَلَمَةَ يُمَارِي ابْنَ عَبَّاسٍ فَحُرِمَ بِذَلِكَ عِلْمًا كَثِيرًا»، كما كان ميمون بن مهران رحمه الله (ت:117هـ) يقول: «لَا تُمَارِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ؛ حَزَنَ عَنْكَ عِلْمَهُ، وَلَمْ يَضُرَّهُ مَا قُلْتَ شَيْئًا»، وكان ابْنُ جُرَيْجٍ رحمه الله (ت:149هـ) يقول: «لَمْ أُخْرِجِ الَّذِي قَدِ اسْتَخْرَجْتُ مِنْ عَطَاءٍ إِلَّا بِرِفْقِي بِهِ»[54].

رابعًا: الِاغترارُ بقليلِ العلمِ وبداياتِه:

وهذا المزلقُ كذلك كثيرُ الحُصولِ في مبادئِ الطَّلبِ؛ فإنَّ المرءَ في فَورةِ الشَّبابِ وقوَّة التَّوجُّهِ والهِمَّة، إذا رأى من نفسِهِ تحصيلاً لبعضِ المتون، الَّتي تُعدُّ مبادئَ للفنون، حسبَ أنَّه بلغ الغايةَ ولما يكشف النقاب عن البداية، فيقعُد عن الطَّلب والتَّحصيل، رضًا بما حصل له منه، وتلك قاصمَة ظهره. قال الماورديُّ رحمه الله (ت:450هـ): «وَقَلَّمَا تَجِدُ بِالْعِلْمِ مُعْجَبًا وَبِمَا أَدْرَكَ مُفْتَخِرًا، إِلَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُقِلًّا وَمُقَصِّرًا؛ لِأَنَّهُ قَدْ يَجْهَلُ قَدْرَهُ، وَيَحْسَبُ أَنَّهُ نَالَ بِالدُّخُولِ فِيهِ أَكْثَرَهُ.

فَأَمَّا مَنْ كَانَ فِيهِ مُتَوَجِّهًا وَمِنْهُ مُسْتَكْثِرًا فَهُوَ يَعْلَمُ مِنْ بُعْدِ غَايَتِهِ، وَالْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ نِهَايَتِهِ، مَا يَصُدُّهُ عَنْ الْعُجْبِ بِهِ.

وَقَدْ قَالَ الشَّعْبِيُّ: الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا شَمَخَ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ. وَمَنْ نَالَ الشِّبْرَ الثَّانِيَ صَغَرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ، وَأَمَّا الشِّبْرُ الثَّالِثُ فَهَيْهَاتَ لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا»[55].

ولذلك فإنَّ من الكلماتِ السَّائرة عند أهل العلم: احذر أن تكون أبا شبر؛ فإنَّ الشبر الأوَّل شبر الكبرِ، وقد قيل: العلم ثلاثة أشبار؛ من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه لا يعلم شيئًا[56].

المَقصَدُ الثَّالِثُ: سبيلُ العِلاجِ

بعدَ عرضِ تلك المزالقِ في نيَّةِ طالب العلم؛ والَّتي هي في الحقيقة موانعُ للتَّحصيل؛ تتشوَّفُ النَّفسُ إلى الوُقوعِ على دواءٍ شافٍ يُجنِّبُ العبدَ غوائلَها، ويستنقذُه من حبائلِها، والَّذي يظهر بعدَ التَّأمُّلِ أنَّ أعظمَ السُّبلِ الكفيلةِ بعلاجِ هذه الأمراضِ شيئان اثنان: شيءٌ خاصٌّ بالمتعلِّمِ نفسه، وشيءٌ خاصٌّ بالمعلِّم؛ أمَّا ما كان خاصًّا بالمتعلِّم ذاته، فهو تعاهد قلبه بإصلاح نيَّته، وأمَّا ما كان متعلِّقًا بالمعَلِّمِ، فهو تفعيلُ جانبِ التَّربية المغَيَّبِ في واقعنا. وهذ إجمالٌ تفصيله كالآتي:

أوَّلاً: تَعَاهُدُ القلبِ بإصلاح النِّيَّةِ:

النِّيَّةُ شَرودٌ؛ بمعنى أنَّها مُتفلِّتةٌ ينبغي متابعتُها وتوجيهها، خاصَّةً وأنَّ طلبَ العِلم أعمالٌ متجزِّئةٌ لا تدري متى يطرأ عليك ما يُفسدُ نيَّتك من رياءٍ أو ابتغاء الدُّنيا، فـ«عن محمد بن مسلم بن وارة، قال: سمعت سليمان بن داود الهاشمي، يقول: ربما أحدث بحديث ولي نية، فإذا أتيت على بعضه تغيرت نيتي، وإذا الحديث الواحد يحتاج إلى نيات»[57].

وهذا في الحقيقة يُؤكِّد على أمرٍ؛ وهو أنَّ الإخلاصَ في طلبِ العلمِ شرطٌ تتابعيٌّ وليسَ شرطًا ابتدائيًّا؛ بمعنى أنَّ على طالبِ العلمِ أن يحرصَ على مُتابعَةِ الإخلاصِ في نفسهِ؛ لأنَّ الإخلاصَ مطلوبٌ في كُلِّ أحيان الإنسان؛ في أوَّلِ أمره وأثناءَه وفي آخرِه[58]. قال سفيانُ الثَّوريُّ رحمه الله (ت:161هـ): «مَا عَالَجْتُ شَيْئاً أَشدَّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي، مَرَّةً عَلَيَّ، وَمَرَّةً لِي»[59]. فإذا كان مثلُ سفيان الثوريِّ رحمه الله جلالةً وقدرا، يُعالجُ نيَّتَه وهي تتقلَّبُ عليه؛ فَحَرِيٌّ بغيره ممَّن هو دونه أن يفعل ذلك.

وقد بيَّن لنا أبو يوسفَ رحمه الله (ت:182هـ) في هذا النَّصِّ الرَّائق كيفيَّة تقلُّبِ النَّفس فقال: «يا قومِ، أريدُوا بعلمكمُ اللهَ تعالى؛ فإنِّي لم أجلسْ مجلسًا قطُّ أنوي فيه أن أتواضعَ؛ إلاَّ لم أقم حتَّى أعلوهم، ولم أجلسْ مجلسًا قطُّ أنوي أن أعلوهم؛ إلاَّ لم أقُمْ حتَّى أفتضحَ»[60].

فعلى طالبِ العلمِ أن يستحضر عند كُلِّ مجلسِ علمٍ تلك النيَّاتِ الطيَّبةَ ليُبارِكَ له في العلمِ وتحصيله، فإذا انقضى هذا المجلسُ؛ وأراد حُضور آخرَ، تعاهد قلبه ونيَّته ولم يغفلْ عنها، وهكذا إذا أراد قراءةَ كتابٍ وشرع فيه، فإذا قطع منه شوطًا أو أشواطًا، أعاد الكرَّة بتذكير النَّفس بإصلاح نيَّتها وراقب سدادها فيه، فإذا فعل ذلك فإنَّه سيقوي همَّته بالإقبال على العلم، ويُبارك له في التَّحصيل والفهم[61].

ثانيًا: تفعيلُ دَورِ الأستاذِ المُرَبِّي:

وأقصدُ بالأستاذ المربِّي؛ الأستاذَ الَّذي يتجاوزُ كونَه مُوظَّفًا، مُهمَّته إلقاءُ المحاضراتِ والإنصراف، إلى كونه أستاذًا خبيرًا بالنَّفس وأحوالها، عالمِا بكيفيَّة معالجة الشَّرع لأدران البشريَّة، فيعمد إلى الأخذ بيد الطَّالب من التخلية إلى التحلية، وبنائه بناية نفسيَّة سويَّة ترتبط بالله ﷻ ورسوله ﷺ ارتباطًا تطبيقيًّا. وهذا النَّوع من الأساتذة كالأب للابن والأخ لأخيه؛ يُراعي أحوالَ الطالب ونفسيته، وينظرُ في أمره، ويرشده وينصحه، ويصنع منه نموذجًا يثبت في مظانِّ المواجهة[62].

وقد ذكر ابنُ جُماعة رحمه الله (ت:733هـ) من آداب العالم مع طَلَبَتِهِ؛ تعليمَهم حسنَ النِّيَّة فيه، فقال: «أنْ لا يمتنع من تعليم الطَّالب لعدم خلوص نيَّته، فإنَّ حسنَ النيَّةِ مَرجُوٌّ له ببركة العلم، قال بعضُ السَّلف: طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلاَّ لله. قيل: معناه؛ فكان عاقبته أَنْ صار لله.

ولأنَّ إخلاصَ النيَّة لو شُرِط في تعليم المبتدئين فيه مع عسره على كثير منهم؛ لأدَّى ذلك إلى تفويت العلم على كثير من الناس، لكنَّ الشيخ يحرص على المبتدي على حسن النية بتدريجٍ قولاً وفعلاً، ويعلمه بعد أُنسِه به، أنه ببركة حسنِ النيَّة ينالُ الرُّتبة العليَّة من العلم والعمل»[63].

والحقُّ يُقال: أنَّا في واقعنا غلبت علينا النَّمطيَّةُ في أداءِ الوظيفة؛ فأصبحنا لا همَّ لنا إلاَّ إنجازُ المقرَّراتِ وإكمالُ المحاضراتِ، والإلتزامات البيداغوجيَّة والأعمال الإداريَّة، ولا نظَرَ لنا في غالبِ أحوالنا إلى أحوال طلبتنا وما يُزَكِّي نُفُوسَهم، ويُؤهِّلهم لأن يكونوا طلبةً للعلمِ الشَّرعيِّ فعلاً لا ادِّعاءً، ولو بأن نخصِّص محاضرة أو اثنتين في أول كلِّ سنة جامعية، نذكرهم فيها بالآداب المرعيَّة بالنسبة لطالب العلوم الإسلاميَّة؛ ونؤكِّد عليهم بالتزامها ظاهرًا وباطنًا، ويتأكَّدُ هذا في السَّنوات الدَّنيا؛ كالسَّنة الأولى؛ إذ الملاحظ أنَّ الطَّلبةَ في هذه المرحلةِ وافدُون جددٌ على الجامعة، وليس كلُّهم قد درس العلوم الإسلامية

أو له علاقة بها، لذلك تجدُ في هذه الشريحة أعدادً غير قليلةٍ فيها تسيُّبٌ وانفلاتٌ من جهة مُراعاةِ الآداب في اللباس أو في الكلام والتَّصرُّفات أو غيرها، فإذا غضضنا الطَّرف عن هذا الوضع ولم نعالجه مع هؤلاء وهم وافدون جدد، فإنهم سينتقلون بعد سنةٍ إلى السنة الثَّانية، وبعدها إلى السنة الثالثة، وبعد سُنيهاتٍ ستجدُ معهدًا كاملا أو كليَّةً للعلوم الإسلاميَّة، لا يحلَّى طلبتها بأخلاق طلبةِ العُلوم الإسلاميَّة، وما أوقعنا في هذه البَليَّةِ؛ إلاَّ الغفلةُ عن الوظيفة التَّربويَّة الَّتي تنبغي للأستاذ الجامعيِّ، وهي تزكية نفوس طلاَّبه، وإرشادهم وتهيئتهم لأن يكونوا أوعيةً صالحةً للعلم؛ فإنَّ التَّزكية قبل العلم، فقد دعا نبيُّ الله إبراهيمَ عليه السلام ربَّه ﷻ أن يبعث في الأميين رسولاً منهم، وظيفته: يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم. قال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ**﴾[البقرة:129]، فقدَّم التَّعليم على التَّزكية؛ فأجاب الله أصل دعائه، وهو إرسال النبيِّ، ولكن صحَّح له ترتيب مهامِّه؛ إذ التَّزكيةُ أوَّلاً حتَّى يُصبح المحلُّ قابلاً، ثم التَّعليم. قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[الجمعة:2].

وإنَّا لو حرصنا على شيءٍ من هذا؛ لتجنَّبنا كثيرًا من مظاهر الانحرافِ الظَّاهرة والباطنة.

خاتمةٌ

لا ريبَ أنَّ الحديث عن النيَّة في طلب العلمِ حديثٌ ذو شُجونٍ، لكنَّا في هذه العُجالةِ أتينا على اعتصار طرفٍ صالحٍ منه، وممَّا خلُصنا إليه فيه من نتائج:

1- أنَّ لطلب العلمِ الشَّرعيِّ فضائل متكاثرةً، دلت عليها نُصوص الشَّرع المتظافرة.

2- أهميَّةُ النيَّةِ في جميع الأعمال؛ إذ هي بمثابة الرُّوح والعمل هو الجسد، والجسدُ بلا روحٍ لا فائدة منه، ولا حياة فيه.

3- طلبُ العلم الشَّرعيِّ عبادةٌ لله ربِّ العالمين، والعبادة لا بدَّ فيها من الإخلاصِ.

4- الإخلاصُ في طلب العلم الشرعيِّ نيَّةٌ مركبة من نيات كثيرة، أصولها أربعة أمور هي: أن يبتغي بعلمه اللهَ والدار الآخرة، وأن ينوي رفع الجهل عن نفسه، وعن غيره، وأن يحفظ الشريعة ويدافع عنها.

5- لصلاح النيَّةِ في العلمِ أثرٌ كبيرٌ في تحصيله، اختصره لنا عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما فيما يُؤثر عنه: (إنَّما يحفظُ المرءُ على قدر نيَّته).

6- صلاحُ النيَّة في طلب العلم تعتورهُ مزالقُ كثيرةٌ تصدُّ الطَّالبَ عن التَّحصيل وتُؤخِّره عنه، ومنها: التركيز على العلامات على حساب التأصيل والتحصيل، والحرص على الشهادة والمنصب، والاغترار بقليل العلم، وحضور مجالس الدرس للاعتراض وتصيُّد الأخطاء.

7- هذه الآفاتُ والأمراضُ، دواؤها الناجعُ في أمرين اثنين: أمرٍ عائدٍ إلى الطَّالبِ نفسه، وهو أن يحرص على تعاهد قلبه وإصلاح نيَّته في العلم على الدَّوام. وأمرٍ آخر خارجٍ عنه، وهو تفعيلُ دور الأستاذ المربِّي الَّذي لا ينفكُّ يُوجِّهُ طلبته إلى ما فيه صلاحهم وتزكيتهم، وتأهيلهم لأن يكونوا أوعيةً للعلم حقًّا.

هذا وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

قائمةُ المصادرِ والمراجعِ

- القُرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

1- ابن الحاج المالكي (ت:737هـ)، المدخل، دط، دار التراث، مصر، دت.

2- ابن القيم (ت:751هـ)، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق مشهور سلمان، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1423هـ.

3- ابن القيم (ت:751هـ)، بدائع الفوائد، تحقيق علي العمران، ط1، دار عالم الفوائد، مكة، 1425هـ.

4- ابن القيم (ت:751هـ)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق عبد الرحمن بن حسن، ط1، دار عالم الفوائد، مكة، 1432هـ.

5- ابن باديس (ت:1359هـ=1940م)، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينيَّة، الجزائر، 1403هـ-1983م.

6- ابن بطال (ت:449هـ)، شرح صحيح البخاري، تحقيق ياسر إبراهيم، ط2، مكتبة الرشد، الرياض، 1423هـ-2003م.

7- ابن جرير الطبري (ت:310هـ)، جامع البيان في تأويل آي القرآن، تحقيق أحمد شاكر، ط1، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1420هـ-2000م.

8- ابن جماعة (ت:733هـ)، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، تحقيق محمد هاشم الندوي، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1423هـ-2002م.

9- ابن حزم (ت:456هـ)، الأخلاق والسيرُ في مداواة النفوس، ط2، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1399هـ-1979م.

10- ابن دقيق العيد (ت:702هـ)، شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ط6، مؤسسة الريان، لبنان، 1424هـ-2003م.

11- ابن رجب الحنبلي (ت:795هـ)، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، تحقيق شعيب الأرناؤوط وزميله، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1422هـ-2001م.

12- ابن عبد البر المالكي (ت:463هـ)، جامع بيان العلم وفضله، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1414هـ-1994م.

13- ابن عثيمين (ت:1421هـ=2000م)، كتاب العلم، تحقيق صلاح الدين محمود، دط، مكتبة نور الهدى، مصر، دت.

14- ابن كثير (ت:774هـ)، البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، ط1، دار هجر، السعودية، 1418هـ-1997م.

15- ابن كثير (ت:774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي سلامة، ط2، دار طيبة، السعودية، 1420هـ-1999م.

16- ابن ماجه (ت:273هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء الكتب العربية، مصر، دت.

17- أبو داوود (ت:275هـ)، سنن أبي داوود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دط، المكتبة العصرية، بيروت، دت.

18- أبو نعيم الأصبهاني (ت:430هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دط، مكتبة السعادة، مصر، 1394هـ-1974م.

19- أبو يعلى الفراء (ت:526هـ)، طبقات الحنابلة، تحقيق محمد حامد الفقي، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.

20- الآجرِّيُّ (ت:360هـ)، الشريعة، تحقيق عبد الله الدميجي، ط2، دار الوطن، الرياض، 1420هـ-1999م.

21- البخاري (ت:256هـ)، صحيح البخاري، تحقيق محمد الناصر، ط1، دار طوق النجاة، السعودية، 1422هـ.

22- البلقينيُّ (ت:805هـ)، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح وتضمين كتاب ابن الصَّلاحِ، تحقيق عائشة عبد الرحمن، دط، دار المعارف، مصر، دت.

23- الترمذي (ت:279هـ)، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ط2، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1395هـ-1975م.

24- الخطيب البغدادي (ت:463هـ)، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق محمود الطحان، دط، مكتبة المعارف، الرياض، دت.

25- الدارمي (ت:255هـ)، سنن الدارمي، تحقيق حسين سليم أسد، ط1، دار المغني، السعودية، 1412هـ-2000م.

26- الذهبي (ت:748هـ)، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، ط3، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1405هـ-1985م.

27- الزرنوجي (حوالي:640هـ)، تعليم المتعلم طريق التعلم، تحقيق مروان قباني، ط1، المكتب الإسلامي، بيروت، 1401هـ-1981م.

28- الزمخشري (ت:538هـ)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ط1، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1412هـ.

29- السيوطيُّ (ت:911هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دط، دار الفكر، بيروت، دت.

30- السيوطي (ت:911هـ)، قوت المغتذي على جامع الترمذي، تحقيق ناصر الغريبي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، مكة، 1424هـ.

31- العيني (ت:855هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

32- الغزالي (ت:505هـ)، إحياء علوم الدين، دط، دار المعرفة، بيروت، دت.

33- القاسمي(ت:1332هـ)، محاسن التأويل، تحقيق باسل عيون السود، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1418هـ.

34- القرطبي (ت:656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق محيي الدين ميستو وآخرين، ط1، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق وبيروت، 1417هـ-1996م.

35- الماوردي (ت:450هـ)، أدب الدنيا والدين، دط، مكتبة الحياة، لبنان، 1986م.

36- بكر أبو زيد (ت:1429هـ=2008م)، حلية طالب العلم، ط1، دار العاصمة، الرياض، 1416هـ.

37- صالح العصيمي، تعاهد النية وأثره في بركة العلم، مقطع فيديو على اليوتيوب.

38- عبد القادر القرشي (ت:775هـ)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، دط، مير محمد كتب خانه، كراتشي، دت.

39- محمد بازمول، التأصيل في طلب العلم، ط1، دار الإمام أحمد، مصر، 1426هـ-2005م.

40- مسلم بن الحجاج (ت:261هـ)، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دت.

41- مصطفى مهدي، مقال "إشكاليات طلب العلم المعاصرة"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/1/28م- 1436/4/7هـ.

42- وحيد عبد السلام بالي، مقال "النيات التي ينويها طالب العلم"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2013/5/28م - 1434/7/18هـ.

هوامِشُ البحثِ

---

[1] الآياتُ القرآنيَّة الواردة في فضل العلم كثيرةٌ؛ لكنِّي سأقتصرُ هنا على ثلاثةٍ لِضيق المقام.

[2] يُنظر: السيوطي، الدر المنثور، ج8، ص83.

[3] يُنظر: ابن عثيمين، كتاب العلم، ص12.

[4] يُنظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج7، ص150.

[5] ابن قيِّمِ الجوزيَّة، مفتاحُ دار السعادة، ج1، ص136. وقد ذكر هُنالك فضل العلم من مئةٍ وثلاثة وخمسين 153 وجهًا.

[6] ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، ج3، ص565.

[7] يُنظر: ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج1، ص331.

[8] ابن ماجه، سنن ابن ماجه، أبواب السُّنَّة، باب فضل العلماء والحثِّ على طلب العلم، حديث 224، ج1، ص151.

[9] البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث 6502، ج8، ص105.

[10] ابن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ص195.

[11] البخاري، الصحيح، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، حديث 71، ج1، ص25. و: مسلم، الصحيح، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث 1037، ج2، ص719.

[12] بدر الدين العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ج2، ص48.

[13] ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج1، ص154.

[14] مسلم، الصحيح، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، حديث 2699، ج4، ص2074.

[15] أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، ج6، ص684.

[16] ابن القيم، بدائع الفوائد، ج3، ص1140.

[17] أبو نُعَيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج3، ص70.

[18] البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة، حديث 6491، ج8، ص103. و: مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت، حديث131، ج1، ص118.

[19] ابن دقيق العيد، شرح الأربعين النووية، ص123.

[20] شُهرة هذه الكلمة وجريانها على ألسنة الناس، بنسبتها (لابن أبي جمرَة)، لكنَّ الموجود في (المدخل) لابن الحاج، و(البداية والنهاية) لابن كثير، في وفيات سنة 695هـ (ابن أبي حمزة). يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص689.

[21] ابن الحاج، المدخل، ص6.

[22] البخاري، الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث 1، ج1، ص6. و: مسلم، الصحيح، كتاب الإمارة، باب قول النبي ﷺ إنما الأعمال بالنية، حديث 1907، ج3، ص1515.

[23] ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحِكَم، ص65-66.

[24] يُنظر: ابن عثيمين، كتاب العلم، ص21.

[25] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج1، ص238.

[26] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص48.

[27] ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج1، ص122.

[28] سبق تخريجه.

[29] ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج1، ص442.

[30] السيوطي، قوت المغتذي على جامع الترمذي، ج2، ص679.

[31] يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص422.

[32] يُنظر: ابن جرير، جامع البيان، ج24، ص541.

[33] الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، ج4، ص33.

[34] يُنظر: ابن عثيمين، كتاب العلم، ص22.

[35] أبو يعلى، طبقات الحنابلة، 380-381.

[36] الزرنوجي، تعليم المتعلم طرق التعلم، ص66.

[37] يُنظر: وحيد عبد السلام بالي، مقال "النيات التي ينويها طالب العلم"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2013/5/28م-1434/7/18هـ. فقد ذكر هنالك ثلاث عشرة نيةً.

[38] أبو داوود، سنن أبي داوود، كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى، حديث 3664، ج3، ص323. و: ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث 252، ج1، ص92.

[39] ابن ماجه، السنن، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث 259، ج1، ص96.

[40] البخاري، الصحيح، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث3461، ج4، ص170.

[41] الترمذي، السنن، أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، حديث2657، ج5، ص34.

[42] الآجري، الشريعة، ج1، ص269.

[43] الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج2، ص257. هكذا هو الأثرُ عند الخطيب: (إنما يَحفظُ الرجلُ)، وهو في سنن الدارميِّ: «إِنَّمَا يُحْفَظُ حَدِيثُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ نِيَّتِهِ» رقم 387، ج1، ص379. ومعنى ذلك أنَّ الأثر بروايتيه يشملُ أمرين اثنين: النية في حال تحمُّل العلم؛ فصلاحها يُثمرُ زيادة التحصيل، والنيَّة في حال الأداء فإحسانها يبلغ بها نفع الناس.

[44] يُنظر: صالح العصيمي، تعاهد النية وأثره في بركة العلم، مقطع فيديو على اليوتيوب.

[45] مسلم، الصحيح، كتاب، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، حديث 1905، ج3، ص1513.

[46] يُنظر: وحيد عبد السلام بالي، مقال "النيات التي ينويها طالب العلم"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2013/5/28م-1434/7/18هـ.

[47] يُنظر: أحمد السكندري، "ما صحة أثر (إنما يُعطى الرجل على قدر نيّته)"، ملتقى أهل الحديث، تاريخ الإضافة:2010/12/20.

[48] عبد القادر القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ج1، ص528.

[49] أقصِدُ ما ابتُلِينَا به – وأنا أوَّلُ المقصُودينَ –، مِن إرادةِ الدُّنيا بالعلمِ؛ من تَطَلُّبٍ للتَّرقيات والإجازات والمنح الَّتي تُمليها الأوضاعُ الأكاديميَّة، فما يُنشَرُ مقالٌ إلاَّ في سبيل ذلك، وما يُشَاركُ في مُلتقًى إلاَّ ابتغاءَهُ، وما يُنشَرُ كتابٌ أو يُطبَعُ مُقرَّرٌ تعليميٌّ إلاَّ توسُّلاً إليه، والله المستَعانُ وعليه التُّكلانُ، أصلح اللهُ أحوالنا، وسدَّدَ أقوالنا وأعمالَنا.

[50] الترمذي، السنن، بابٌ جامعٌ في الدعوات، حديث 3502، ج5، ص528.

[51] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج18، ص192.

[52] ابن حزم، الأخلاق والسير في مُداواة النُّفُوس، ص92.

[53] السراج البلقيني، محاسن الاصطلاح، ص240.

[54] يُنظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج1، ص517–518.

[55] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص73.

[56] يُنظر: بكر أبو زيد، حلية طالب العلم، ص198.

[57] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج10، ص41.

[58] يُنظر: محمد بن عمر بازمول، التأصيل في طلب العلم، ص18.

[59] الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج7، ص285.

[60] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص72–73.

[61] يُنظر: صالح العصيمي، تعاهد النية وأثره في بركة العلم، مقطع فيديو على اليوتيوب.

[62] يُنظر: مصطفى مهدي، مقال "إشكاليات طلب العلم المعاصرة"، شبكة الألوكة، تاريخ الإضافة: 2015/1/28م–1436/4/7هـ.

[63] ابن جماعة، تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم، ص54.